خلال التفاوض والاتفاق مع العرب بدلاً من معاداتهم. كما ان الصدامات التي وقعت في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٣ اقنعت عدداً آخر من الزعماء الصهيونيين بانهم يواجهون حركة قومية وتحولاً جدياً بين العرب. ومع ذلك، ظلت اهداف الصهيونيين الاساسية على ما كانت عليه: السعي الى زيادة عدد اليهود في فلسطين بكافة السبل واقصر الطرق، واقامة كيانهم الاقتصادي ـ والاجتماعي المنفصل، الى ان يصبحوا اكثرية في البلد، فيطرح مصيرها السياسي للبت فيه نهائياً.

الخروج الى ما وراء السياج

يتناول الفصل السادس الثورة العربية الكبرى في فلسطين (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩). تلك الثورة المسلحة التي قام بها الشعب الفلسطيني، بطبقاته المختلفة، يؤازره فيها متطوعون عرب ضد البريطانيين والصهيونيين. تلك الثورة فاقت، في شمولها واستمرارها وضراوتها، كل ما عرفته فلسطين من انتفاضات او صدامات مسلحة حتى ذلك الوقت. اذ استمرت، مع «الهدنة» التي تخللتها، نحو ثلاثة سنوات ونصف السنة، ابتداء من ربيع العام ١٩٣٦ وحتى خريف العام ١٩٣٩.

هنا، يعرض الباحث اسباب نشوب الثورة، فيرى ـ على الصعيد المحلي ـ ان توقعات كل من العرب واليهود بقرب تحقيق اهدافهم، او معظمها، قد وصلت، حتى ذلك الوقت، الى قمتها، مما دفع كلاً منهم الى التمسك بمطالبه والسعي، حثيثاً، الى تحقيقها، من ناحية، بينما تعمقت شكوكه وتصلب موقفه تجاه الطرف الآخر، من ناحية اخرى.

عشية نشوب الثورة، ونتيجة لهجرة يهودية واسعة الى فلسطين، كان عدد السكان اليهود تضاعف في البلد ووصل الى نحو ٤٠٠ الف نسمة. كما نما «الوطن القومي» وتوسع بشكل ملحوظ. عند ذلك، لم يكن الصهيونيون على استعداد لقبول اي تغيير في النظام السياسي. كذلك كان للتطورات التي وصلت في بلدان مجاورة ما أثار عرب فلسطين الى مسعى تغيير النظام السياسي وقيادة البلاد نحو الاستقلال. ففي سوريا، كان اعلن سنة ١٩٣٠ دستور منح السكان، بموجبه، حق الانتخاب، وتشكيل حكومة، وتعيين رئيس للجمهورية. وفي مصر، تشكلت حكومة برئاسة مصطفى النحاس ودخلت في مفاوضات مع بريطانيا انتهت باتفاقية تخفيف نطاق الاحتلال البريطاني وتبادل السفراء بين البلدين. وفي العراق، وقعت سنة ١٩٣٠ معاهدة بينه وبين بريطانيا جاءت بمثابة شبه اعتراف باستقلاله. هذه التطورات جذبت اهتمام عرب فلسطين، اضافة الى الدور الهام الذي اخذت تلعبه القوى السياسية الجديدة في التعبئة وفي دعم الثورة وتوسيع نشاطها.

وعلى الصعيد الدولي، يرى المؤلف ان حدة التناقضات السياسية والاقتصادية، خاصة في اوروبا، قد وصلت، مع منتصف الثلاثينات، درجة راحت تشكل خطراً على النظام العالمي الذي نشأ في اعقاب الحرب العالمية الاولى، وتهدد بانهياره. ووجدت هذه التناقضات تعبيراً عنها في عدد من الصدامات الدولية المحدودة، بدت كمقدمة لصراعات اكبر واشمل كانت نهايتها حرب عالمية جديدة اندلعت في خريف سنة ١٩٣٩.

ويواصل الكاتب بحثه في يوميات وقائع الثورة والمعالجات التي سعت بريطانيا اليها كتدابير لحل الازمة، وكذلك مساعي الوفود واللجان العربية من اجل الاستقلال، حتى اصدار الحكومة البريطانية قراراً بتقسيم فلسطين. ثم يفصل الاصداء وردود الفعل المتباينة داخل المعسكر الصهيوني. اما في ما يتعلق بالموقف العربي الرافض للتقسيم، يقول الباحث ان اللجنة العربية العليا اعلنت في بيان اصدرته عقب نشر تقرير اللجنة الملكية معارضتها لتوصياته وللسياسة البريطانية التي قد تستند اليه، لانه يسعى الى «وضع الاماكن المقدسة تحت انتداب بريطاني دائم وانشاء دولة يهودية في اخصب قسم من البلاد واهمها... وحشر العرب فيما تبقى من الاراضي الجبلية ومدينة يافا» (ص ٣٤٨). وتقدمت اللجنة العربية العليا بمذكرة الى عصبة الامم شجبت فيها مشروع التقسيم مقترحة، بدلاً منه، حلاً يقضي بالاعتراف بحق العرب الفلسطينيين في الاستقلال وانهاء الانتداب